الباب الثاني

الصحابة في مدرسة النبوة

- الخلافة الراشدة ثلاثون عامًا.
- نصروا الله فنصرهم.
- كل الصحابة موعودون بالجنة.
- وأمرهم شورى بينهم.

الصحابة في مدرسة النبوة

وَرَبَّى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه على أساس الخوف من الله وخشيته، والشعور بالمسؤولية والتَّبعة الفردية والجماعية، لأنهم الصدر الأول والنموذج الأول، والأمة الأولى ليقتدي بهم مَنْ بعدهم.

وربَّاهم على البذل والتضحية في سبيل الله والرغبة والتنافس فيما عند الله، وقد وصفهم اللهّ بهذا في كتابه، فقال عنهم عزَّ وجلَّ: ﴿ **لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ** ﴾ (الحشر: ٨)، يعني: أنهم يبتغون رضا الله وفضله، وقال سبحانه: ﴿ **تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ** ﴾ (الفتح: ٢٩)، كما أنه صلى الله عليه وآله وسلم، ربَّاهم على المودة والألفة والمحبة والرحمة فيما بينهم: ﴿ **أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ** ﴾ (الفتح: ٢٩)، ﴿ **أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ** ﴾ (المائدة: ٥٤)، ﴿ **وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ** ﴾ (الأنفال: ٦٣)، ﴿ **يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ** ﴾ (الحشر: ٩).

فالصحابة ﷺ صاغهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم صياغةً قرآنية، فحياة الصحابة كلها دعوة وجهاد وفتوحات.

فتطلع أخي الحبيب واطلع على سيرتهم، وأضرب لك مثلاً بحياة الخلفاء الأربعة الراشدين.

الخلافة الراشدة ثلاثون عامًا

الخلافة الراشدة ثلاثون عامًا بما فيها خلافة الحسن بن علي ﷺ جميعًا، كما ورد في الحديث في سنن أبي داود وعند أحمد والترمذي والنسائي عن سعيد بن جمهان قال حدثني سفينة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**الخلافة بعدي ثلاثون**» أي: ثلاثون سنةً.

وهي بالتفصيل كالآتي:

أولاً : خلافة أبي بكر الصديق سنتان وأربعة أشهر إلا ثلاثة أيام.

ثانيًا: خلافة عمر بن الخطاب عشر سنوات وستة أشهر.

ثالثًا: خلافة عثمان بن عفان اثنا عشر سنة إلا ثمانية أيام.

رابعًا: خلافة علي بن أبي طالب أربع سنين وتسعة أشهر.

خامسًا: خلافة الحسن بن علي ستة أشهر، فمجموعها ثلاثون سنة، وقبل الدخول في تفاصيل هذه الفترة الراشدة الأعظم إشراقًا في التاريخ الإسلامي، نُنَبِّهُ إلى أن الخلفاء الراشدين الأربعة، هم أفضل الصحابة باتفاق الأمة وكانوا أحب الناس وأقربهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد أولاهم رسول الله ﷺ عنايةً خاصةً واهتمامًا كبيرًا، ولعل ذلك لما كان النبي ﷺ يَعُدُّهم ويهيئهم لمثل ما قاموا به في حياته وبعد مماته.

ومن صور اهتمامه وعنايته بهم ومحبته لهم: أنه صاهرهم وناسبهم وعمَّق المودة بينه وبينهم.

فَزَوَّجَ رسول الله ﷺ منهم اثنين: زوج عليًا بابنته فاطمة البتول رضي الله عنها.

وزوج عثمان بابنته رقية رضي الله عنها، ولما ماتت زوجه بابنته أُم كلثوم رضي الله عنها.

وتزوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم من اثنين منهم، تزوج بعائشة بنت الصديق وتزوج بحفصة ابنة الفاروق عمر رضي الله عنهم أجمعين.

وقد كَنَّاهُم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بِكُنَى «أوسمةً» ستظلُ خالدة إلى يوم القيامة، الصديق وِسَامًا لأبي بكر، وأبو بكر كنية له.

والفاروق وسامًا لعمر، وذو النورين وِسَامًا لعثمان بن عفان، وأبو تراب وِسَامًا لعلي رضي الله عنهم أجمعين. وبعد هذا إليك شيء من الأخبار الراشدة في حياة الراشدين.

الصِّدِّيق رضي الله عنه:

فأبو بكر بكَّر بإسلامه، وهو أول من أسلم من الرجال وبذل ماله كله لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعُذِّبَ في مكة من أجل رسول الله ﷺ، وسَخَّرَ أهله وأولاده حتى أغنامه من أجل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وكان يشتري الذين أسلموا من العبيد المستضعفين في مكة ويعتقهم لوجه الله.

وأسلم على يده خلقٌ كثير، وصحب رسول الله في الغار والهجرة.

وأنفق رسول الله ﷺ على هجرته من مال أبي بكر، واشترى أرض المسجد النبوي في المدينة من مال أبي بكر.

وبعد وفاة النبي ﷺ قاتل أبو بكر المرتدين فقضى على الردة وأنفذ جيش أسامة.

وبلغ درجة الصدِّيقين ولُقِّبَ بالصدِّيق، وأنزل الله فيه: ﴿ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة: ٤٠)، وأنزل الله عزَّ وجلَّ فيه قوله تعالى: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾ (الليل: ١٧-٢١)، وذلك لما اشترى سبعة من العبيد وأعتقهم جميعًا لوجه الله تعالى، منهم: بلال بن رباح اشتراه من أمية بن خلف.

ودُفِن أبو بكر بجوار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان له رضي الله عنه أبناء، منهم: عبد الرحمن، ومحمد، وعبد الله، ولم يُولِّ أحدًا منهم، ولَمْ يوصِ بالخلافة لأحد منهم فهي ليست بالوراثة.

الفاروق رضي الله عنه:

وهذا عمر بن الخطاب الفاروق، فَرَّقَ الله به بين الحق والباطل، ولازم رسول الله ﷺ، من بعد إسلامه طوال حياته، وتزوج النبي ابنته حفصة وخرج مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في جميع غزواته.

وفي عهده قويت شوكة الإسلام وحقق الله للمسلمين كثيراً من الفتوحات، فتح بيت المقدس ونفى ما تبقى من اليهود من جزيرة العرب وانتشر العدل في عهده وما قامت في عهده فتنةٌ واحدة.

واشتهر بالعدل والزهد ووافقه القرآن في كثير من المواقف، حتى ختم الله له بالشهادة في محراب وحَرَمِ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على يد مجوسي كافر هو أبو لؤلؤة المجوسي، وهو يصلي الفجر بالمسلمين، ودفن بجوار رسول الله ﷺ وجوار أبي بكر الصديق، وكان له من الأولاد أربعة عشر، وتسعةَ منهم ذكور، ولم يُولِّ أحدًا منهم، ولم يُوصِ بالخلافة لأحدٍ منهم.

ولما أشار عليه بعض الصحابة عند موته وهو في ساعة الاحتضار أن يولي ولده عبد الله بن عمر غضب ﷺ وقال: يكفي آل الخطاب واحدٌ منهم يُسْأَلُ بين يدي الله عزَّ وجلَّ.

ذو النورين ﷺ:

وهذا عثمان بن عفان «ذو النورين» زوجه رسول الله ﷺ بابنته: رقية ثم بأُم كلثوم، وقسم له سهمًا من غنائم بدرٍ مع أنه لم يحضرها لانشغاله بمرض زوجته رقية، واشترى للمسلمين بئر رومه وضمن له النبي صلى الله عليه وآله وسلم بشرائها الجنة، وأخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم البيعة عنه في بيعة الرضوان في الحديبية، وذلك لما أرسله إلى قريش بمكة فأُشيع أنه قُتِلَ.

وجهز جيش العسرة بعشرة آلاف دينار وألف بعيرٍ وفرس، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم، في إنفاقه هذا: «**ما ضَرَّ عثمان ما فعل بعد اليوم**».

وفي عهد الفاروق عمر أنفق كل قافلته سبعمائة بعير لما أصاب المسلمين القحط.

وكان حَيِيًّا كريمًا، حتى قال فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**إن الملائكة لتستحي منه**»

وفتح الله في عهده بلدانًا كثيرة، وكان أول من جهز أُسطولاً بحريًا، وجمع القرآن من الصُّحُف والصدور في مصحفٍ واحد وسُمِّي بالمصحف العثماني، وبالرسم العثماني ـ والمصحف الإمام ـ، حتى ختم الله له بالشهادة وهو صائمٌ يقرأ القرآن، وقد تمزقت في يده أربعة مصاحف لكثرة قراءته، وكان يقول: «**لو سلمت قلوبنا ما شبعت من كلام الله**»، وكان له أبناء ولم يُوصِ بالخلافة لأحد منهم.

أبو تراب رضي الله عنه:

وهذا علي رضي الله عنه «أبو تراب» أبو الحسنين، أول من أسلم من الصبيان وعمره ثماني سنوات، فَدَى رسول الله ﷺ بنفسه ليلة الهجرة، وزوجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة البتول رضي الله عنها، وجاهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طوال حياته وخرج معه في غزواته.

وفتح الله على يديه حصن خيبر وجاهد مع إخوانه الخلفاء جميعًا بعد رسول الله ﷺ، وقد أشار على أمير المؤمنين عمر بالتاريخ الهجري ووضع أُسسًا وقواعد للغة العربية، وأشار بها على أبي الأسود الدؤلي، وقاتل الخوارج وأحرق السبأية (بذرة الروافض).

حتى ختم الله له بالشهادة وقت صلاة الفجر في مسجد الكوفة، على يد الأشقى عدو الله عبد الرحمن بن ملجم الذي يُعْتَبر أشقى الناس مع أمثاله من الأشقياء عاقر الناقة وقاتل زكريا وقاتل يحيى عليهما السلام.

وكان للإمام علي رضي الله عنه من الأولاد ثمانية عشر، ولم يوصِ بالخلافة لأحد منهم.

واتُّهِمَ عليٌ رضي الله عنه مِنْ قِبَلِ الشيعة الرافضة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أسَرَّ إليه من الشريعة ما أخفاه على الناس، فسأله رجل ما الذي أسَرَّ إليك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فغضب عليٌ رضي الله عنه حتى أحمر وجهه، وقال: والله ما أسَرَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إليّ شيئًا كتمه عن الناس، وإنما عندنا كتاب الله وشيء من السنة ذكره رضي الله عنه وهو في بعض أنصبة الزكاة، أو فَهْمٌ أوتيه رجل[١].

وسئل الإمام علي رضي الله عنه، هل خصك رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء، فقال: (لا) إلا ما في هذا الكتاب، فإذا فيه: «**المؤمنون تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم، وألاَّ يُقتل مسلم بكافر ولا ذو عهد في عهده**»[٢].

وكان الخلفاء الأربعة من أُسَرٍ وعشائر شَتَّى، فليسوا من أُسرةٍ واحدة ولا من قبيلةٍ واحدة، ولم يتوارثوا الخلافة كما يتوارثها الملوك، وإنما عن طريق الشورى فقط، فكان أبو بكر من بني تيمٍ، وعمر من بني عدّيٍ، وعثمان من بني أُمية، وعلى من بني هاشم رضي الله عنهم أجمعين.

وقد أوصانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالاقتداء بهم واتباع سنتهم، فقال: «**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عَضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة**»[٣].

---

(١) رواه البخاري (١١١) وغيره عن أبي جحيفة.

(٢) رواه أبو داود (٤٥٣٠)، والنسائي (٨/ ٩)، وحسنه الألباني في «الإرواء» برقم (٢٢٠٨).

(٣) أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، وصححه الألباني في «الإرواء».

نصروا الله فنصرهم

وأُذَكِّرك أخي القارئ الكريم في هذا المقام ما وعد الله تعالى به أصحاب رسوله ﷺ من النصر والتمكين والاستخلاف، فقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ (النور: ٥٥).

وقد تحقق وعد الله تعالى لهم، فإنه صلى الله عليه وسلم لم يمت حتى فتح مع أصحابه مكة وخيبر والبحرين وسائر جزيرة العرب، وأرض اليمن بكاملها، وأخذ الجزية من مجوس هجر، ومن بعض أطراف الشام.

وهاداه ملك الروم وصاحب مصر المقوقس ومَلِكُ عمان والنجاشي مَلِكُ الحبشة.

ثم قام بالأمر من بعده خليفته الصديق أبو بكر رضي الله عنه، فبعث جيوش الإسلام إلى بلاد فارس صحبة خالد بن الوليد ففتحوا طرفًا منها وقتلوا خلقًا كثيرًا من أهلها.

وجيشًا آخر صُحبة أبي عبيده إلى أرض الشام ففتح الله له بصرى ودمشق، وجيشًا ثالثًا صحبة عمرو بن العاص ثم توفاه الله عزَّ وجلَّ

ثم قام من بعده الفاروق عمر رضي الله عنه قيامًا لم يَدُرِ الفلك من بعد الأنبياء على مثله في قوة سيرته وكمال عدله.

وقد تم في أيامه فتح البلاد الشامية كاملها، وديار مصر على آخرها، وأكثر أقاليم فارس، وكَسَرَ كِسرى وأهانه غاية الهوان وكَسَر قيصر وانتزع يده عن بلاد الشام.

ثم قام بالأمر من بعده عثمان بن عفان ﷺ، وفي عهده امتدت الممالك الإسلامية إلى أقصى مشارق الأرض ومغاربها. ففتح بلاد المغرب إلى أقصى ما هنالك وقبرص وبلاد القيروان وغيرها، ومن ناحية المشرق إلى بلاد الصين، وقُتِل كسرى وأبيد ملكه بالكلية، وفُتحت بقية مدن فارس وخراسان والأهواز، وقتل المسلمون من الكفار مقتلةً عظيمة في الترك وجُبِيَ الخراج من المشارق والمغارب إلى حضرة أمير المؤمنين عثمان.

وفي عهده ﷺ أُنشئ أول أُسطول بحري ولأول مرةٍ غزا المسلمون عدوهم عن طريق البحر، وذلك ببركة تلاوته ودراسته وجمع الأمة على مصحف واحد.

ثم قام بالأمر من بعده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، وقد قام مع إخوانه الخلفاء الثلاثة في الفتوحات كلها وإدارة شؤون الخلافة، وفي عهده ﷺ ظهرت فرق الخوارج الذين استباحوا الدم الحرام وانتهكوا الحرمات وكفّروا خيار الأمة، فقاتلهم ﷺ في معارك كثيرة، كالنهروان والنخيلة كما قتل السبئية طليعة الروافض بأن أحرقهم بالنار، وتحقق وعد الله تعالى كما قال: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ (النور: ٥٥)، وصدق الله عزَّ وجلَّ إذ يقول: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ (الفتح: ٢٨).

بمن نصرت دينك يا رب وأظهرته على جميع الملل في الأرض كلها بمن؟ قال بعد هذه الآية مباشرةً: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ

فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (الفتح: ٢٩).

وقد ورد في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها» فتحقق هذا الوعد.

كل الصحابة موعودون بالجنة

ومما أثبت الله في القرآن صحابة رسولنا صلى الله عليه وآله وسلم، وتبشيره تعالى لهم بالجنة، وشهادته لهم بحسن الخاتمة، ووعده لهم بالمغفرة والرحمة والرضوان.

والله تعالى لا يشهد لأحد بالمغفرة والجنة ويُثْبِت ذلك في كتابه إلا وهو يعلم بجميع أحواله، فربنا عزَّ وجلَّ يقول: ﴿ لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨٨) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (التوبة: ٨٨-٨٩)، وقد سبقت آية في نفس السورة: ﴿ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (التوبة: ١٠٠).

ولما فاخرت قريش بأنها بَنَت المسجد الحرام وأرادت بذلك الانتقاص من النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن أصحابه رضي الله عنهم، أنزل الله ردًا عليهم: ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٩) الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ

بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ (٢١) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ (التوبة: ١٩-٢٢)، تَأَمَّل: نعيمًا مقيمًا وخالدين فيها.

ويعدهم جميعًا بالجنة، المجاهد منهم والقاعد، والذين أنفقوا وقاتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل الفتح، والذين أنفقوا وقاتلوا معه بعد الفتح، فقد وعدهم جميعًا بالحسنى وهي الجنة وهذا ما قرره تعالى في قوله: ﴿ لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (النساء: ٩٥)، ﴿ لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (الحديد: ١٠).

وَوَعْدُ الله تعالى لا يختلف ولا يَتَخَلَّفْ، فقد سبق في عمله تعالى هذا الوعد فقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (١٠١) لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ (١٠٢) لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (الأنبياء: ١٠١-١٠٣).

وهكذا يا إخواني الكرام، ربنا عزَّ وجلَّ يبشر أصحاب رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بالجنة وهم في الدنيا ويسجل هذا في قرآنٍ يتلى إلى يوم القيامة.

وأمرهم شورى بينهم

وتعال معي إلى معنى جديد: نعلم جميعًا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد حطم الجاهلية وأخلاقها ومبادءها النابعة من الأنانية والكبر، ومنها القيصرية والكسروية التي حَصَرتِ الحكم في سُلالة مُعَيَّنة.

وأقام صلى الله عليه وآله وسلم الحكم على أساس العدل والشورى كما قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (الشورى: ٣٨).

فتأمل: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ فالشورى أساس ودعامة في بناء حياة الأمة المسلمة، قال سبحانه: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ (آل عمران: ١٥٩)، مع أن النبي يُوحَى إليه، لكن الله يعلمه أن يشاور أصحابه.

وبَنَى النبي ﷺ الحياة السياسية والاجتماعية على أساس العقيدة وبميزان التقوى، فقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ﴾ (الحجرات: ١٣)، فكل إنسان داخل في هذا النص، كلكم أيها الناس أصلكم من ذكر وأنثى، ﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ (الحجرات: ١٣)، فمن أفضلنا يا رب، ومن أكرمنا عندك، ومن أرفعنا منزلة؟ ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (الحجرات: ١٣)، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (الحجرات: ١٠)، فلا أخوة إلا بين المؤمنين وعلى أساس الإيمان.

وبيَّن الله عزَّ وجلَّ في القرآن ما بَيَّنَهُ لأبينا إبراهيم أن الإمامة ليست بالوراثة، وأن المؤهلات للإمامة هي التقوى والإتباع للحق فقال الله عزَّ وجلَّ:

﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ (البقرة: ١٢٤)، ولما أتمَّ إبراهيم الاختبار بنجاح كافأه الله تبارك وتعالى بالإمامة، فقال سبحانه: ﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ (البقرة: ١٢٤)، فطمع ربراهيم أن تكون الإمامة وراثةً في ذريته، فقال: ﴿ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾، فقال الله تعالى له: ﴿ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ (البقرة: ١٢٤).

وذكر الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن المؤهلات للإمامة الصبر واليقين: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ (السجدة: ٢٤)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ مستدلاً بهذه الآية: «بالصبر واليقين تُنَال الإمامة في الدين».

ولما زعم قومٌ الانتماء إلى إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه. قال الله لهم: ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران: ٦٨).

ومثالاً على ذلك وتطبيقًا له قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سلمان: «سلمان منا آل البيت»، وهو أعجمي من فارس وليس عربيًا، ليؤسس مبدأً للتفاضل على أساس التقوى، وأن المنازل العالية لا تورث بالسلالات وإنما مقياسها الإيمان والتقوى، ولهذا قال الشاعر الناصح:

لعمرك ما الإنسان إلا ابن دينه ○■○ فلا تترك التقوى اتكالاً على النسب
فقد رفع الإسلام سلمان فارس ○■○ وقد حَطَّ بالشرك النسيب أبا لهب